

المعجم الصوفي في الأدب الجزائري الحديث:

قصيدة الشيخ ابن منيع أنموذجا

أ. شعيب حيلة

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل،

الملخص:

أُعدت هذه الدراسة الموجزة؛ لأجل بيان حضور المصطلح الصوفي في قصيدة الشيخ بلقاسم ابن منيع، ابتدئت بمقدمة ومدخل، وعُرِضت فيها مصطلحات صوفية مع موضعها في أبيات الشيخ. شُرحت المصطلحات اعتمادا على معاجم المصطلحات الصوفية المتخصصة، وذكرنا نصوصا اشتملت على هذه المصطلحات من تفاسير أهل التصوف، ولقد خلصت الدراسة إلى أن الشيخ ابن منيع اعتمد في قصيدته مصطلحات التصوف السني لا الفلسفي؛ وهو ما يعكس مرجعية الشيخ الدينية في زمنه.

الكلمات المفتاحية: تصوف، مصطلح، ابن منيع، أدب، معجم.

The Sufi Lexicon in Modern Algerian Literature: The Poem of Sheikh Ibn Menia as a Model

Abstract:

This brief study was prepared In order to clarify the presence of the Sufi terms in the poem of Sheikh Belkacem Ibn Menia, it begins with an introduction and a preface. Sufi terms were presented with their place in the poem of the Sheikh. The terms were explained based on the dictionaries of specialized Sufi terms, and we mentioned texts that included these terms from the interpretations of Sufi scholars. The study concluded that Sheikh Ibn Menia adopted in his poem the Sunni Sufism terms, not the philosophical one, This reflects the religious authority of the Sheikh in his time.

Keywords: Sufism, term, Ibn Menia, literature, dictionary.

مقدمة:

شغلتُ سنة 2015 بتحقيق قصيدة الشيخ بلقاسم ابن منيع وبشرحها، وتيسر نشرها مع رسالة من رسائله في التصوف سنة 2019، وإن سُبقت إلى دراستها -في أصلها غير المحقق- من مستويات لغوية عدة، فإني رأيت حاجة ملحة إلى دراسة المعجم الصوفي في هذه القصيدة؛ لما له من أهمية بالغة في الكشف عن المرجعية الدينية للشيخ، ولولاية جيغل نفسها إبان الاحتلال الفرنسي.

غير خافٍ على مَنْ عرف سيرة الشيخ أو اطلع على عمله انتسابه إلى التصوف؛ ولقد أثبتنا في الكتاب المنشور نص إجازة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني له بجميع العلوم المنطوق منها والمفهوم إجازة عامة مطلقة تامة، ولكن القصد هو التفصيل في مصطلحات الشيخ وبيان أصلها الصوفي، والحاصل أن الدراسة ترنو إلى جواب إشكال رئيس هو: ما تجليات المعجم الصوفي في قصيدة الشيخ بلقاسم ابن منيع؟ نعتمد في هذه الدراسة منهجا وصفيا من غير استقراء تام للمصطلحات الواردة في القصيدة؛ إذ سنتخير مصطلحات بحياها مرتبة ترتيبا ألفبائيا، ونذكر موقعها وشاهدها منها، ونوجز الحديث في أصلها ومعناها.

مدخل:

لم تخل القصيدة من تعليقاتٍ وشروحٍ للشيخ بلقاسم ابن منيع، ولقد لحظنا اعتماده في الشرح «القاموس المحيط» لمجد الدين الفيروزآبادي اعتماداً كبيراً، وليست تخفى علاقة الفيروزآبادي بالتصوف؛ وذلك يظهر فيما نسب إليه من كتبٍ منها ما لم يصلنا، وفيما وصلنا أيضاً من مثل معجمه القرآني «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» الذي حوى إشارات عدة إلى الاصطلاح الصوفي. ولقد أوماً الشيخ إلى الاصطلاح الصوفي في رسالته حين قال: "إن الحقيقة كامنة في باطن الشريعة ككمون السمن في الحليب، وأهل التصوف دأبهم الاقتداء بأصحاب الشريعة ولا يخالفونهم في شيء، وإن ظهر لأحد مخالفتهم في شيء؛ فذلك من عدم اطلاعهم على اصطلاحاتهم، وعدم الوصول إلى كيفية مأخذهم ومشرهم"¹.

تظهر المصطلحات الصوفية في جُل أبيات القصيدة التي جاوزت أربعمائة بيت، كذلك تظهر في تعليقات الشيخ وشروحه، ولقد ضمّن مثلاً (صلاة الفاتح) في أبيات بحياها هي قوله²:

"الْفَاتِحُ الْخَيْرُ وَالْإِيْجَادَ وَالْمَدَدَ وَكُلُّ مُنْغَلِقٍ وَعَيْنَ كُلِّ عَمٍ
وَنَاصِرُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ عَلَى رَغَمِ الْعَتَاةِ الْعَدَا، وَحَاكِمِ الْخَصِمِ".

وقد يشرح الشيخ بعض هذه المصطلحات، وهذه المصطلحات أقسام من حيث أصلها، منها ما كان أصله الوحي من قرآن وحديث من مثل: الروح والنور والملكوت ... إلخ، ومنها ما كان من اصطلاح القوم مما لا أصل له -من حيث لفظه- في الوحي، من مثل: العدم. والحق أن من يراجع معاجم المصطلحات الصوفية يجد أنها تُدرج مصطلحات عدة مشتركة بين العلوم الإسلامية، ولكننا نكتفي من قصيدة الشيخ بما هو ألصق بالتصوف، مع تجاوز مصطلحات عدة من مثل: النور، الولي/الولاية، الفلك العلوي والسفلي، المقام، المحبة ... إلخ؛ إذ الأمر قائم على الانتخاب.

مصطلحات المعجم الصوفي في قصيدة الشيخ ابن منيع:

(1) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، بلقاسم ابن منيع، تحقيق وشرح: شعيب حبيلة، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2019، ص 125 126.

(2) المرجع نفسه، ص 85 86.

ذخيرة:

ورد المصطلح في بيت من قول الشيخ³:

"ذَخِيرَةُ الْعَالَمِ الْمُؤَلَّى وَنَاصِرُهُ وَمَفْزَعُ الْمُسْتَجِيرِ الْوَاضِحِ الْقَصَمِ".

شرح عبد المنعم الحفني المصطلح جمعا (ذخائر) وقال فيه: "ذخائر الله قوم من أوليائه تعالى، يدفع بهم البلاء عن عباده، كما يدفع بالذخيرة بلاء الفاقة"⁴، وهذا التعريف يؤدي معنى المصطلح مفردا في الشاهد وإن كان عائدا على النبي -عليه السلام-؛ وقد ورد في آثار عدة من ذلك قول عمر لرجل: "أوصيك بتقوى الله، فإنها ذخيرة الفائزين، وحرز المؤمنين ... إلخ"⁵. واطّرد هذا المصطلح في شعر المواعظ من ذلك قول الشاعر العباسي محمود الوراق الذي عُرف بشعره الديني الوجداني⁶:

"وَقَالُوا ادْخِرْ مَا حَزَنَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
فَقُلْتُ سَأَمْضِيهِ لِنَفْسِي ذَخِيرَةً
وَأَجْعَلَ رَبِّي الذَّخَرَ لِلْأَهْلِ وَالْوَلَدِ".

السر:

اشتملت القصيدة على مصطلح (السر) في قوله⁷:

"الطَّاهِرُ الْمُنْشَأُ الزَّكِيُّ زَانَهُ خُلِقَ
فَالسِّرُ عَيْنُ سَرِيرَةٍ وَقَدْ بَرَزَتْ
عَنْ أَطْيَبِ السَّرِّ بَرَهَتْ كَمَا الْفَهْمُ
عَنْ شَمْسِ صُورَتِهِ عَلَائِمُ

أخذنا في الأصل المطبوع بشرح الكاشاني للسر من أنه: ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادي المشار إليه بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، ولكن هذا الشرح يظل غامضا وأقرب إلى مفهوم السر في التصوف الفلسفي. يفصل عبد المنعم الحفني في معجمه القول في مصطلح (السر)، فهو عنده: "لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، ونور روحاني

(3) المرجع نفسه، ص 89.

(4) معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1987، ص 103.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، [دط]، 1974، (5/341).

(6) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1420 هـ، (1/663).

(7) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 39 40.

هو آلة النفس، وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، وبدون السر تعجز النفس عن العمل ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر الذي هو همة معها"⁸. والحق أن هذا التعريف مأخوذ عن «التعريفات» للشيخ الجرجاني⁹. لقد أتى الحفني بعدُ بتعريف الكاشاني للسر من غير إحالة إليه، ثم ذكر أقساماً عدة له هي: السر المجرد، سر السر، سر التجليات، سر الحال، سر الحقيقة، سر الربوبية، سر العلم، سر القدر... إلخ.

إن عدنا إلى أصل شروح الحفني، وإن عدنا إلى الشاهد من بيت الشيخ ابن منيع، نقف على مصطلحات أخرى متعلقة بالسر؛ إذ يقرن الشيخ بين طهارة منشأ النبي -عليه السلام- وبين (السر)، ويذكر الشريف الجرجاني مصطلحين آخرين¹⁰ هما (الظاهر السر) وهو: من لا يذهل عن الله طرفه عين، و(الظاهر السر والعلانية) وهو: من قام بتوفية حقوق الحق والخلق جميعاً؛ لسعته برعاية الجانبين. ولقد جمع الشيخ بين (السر والعلن) في موضع آخر حين قال¹¹:

"إِحْرَازُ مُسْتَقِّ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
عَالِي مَرَاتِبِهَا مِنْ دُونِهَا تَحُمُّ"

ولا نغفل ههنا مصطلحاً صوفياً آخر ورد في الشاهد هو (صورته)، فالهاء عائدة على النبي -عليه السلام-، ولقد اهتمت المعاجم المختصة بالمصطلح الصوفي بهذا المفهوم، من ذلك أن الحفني شرح (الصورة المحمدية) ناقلاً عن الجيلاني، فقال: "خلقها الله تعالى من نور اسمه البديع القادر، ومنها خلق الله صورة آدم -عليه السلام- نسخة من تلك الصورة المحمدية، فلما نزل آدم من الجنة ذهبت حياة صورته وفارقت عالم الأرواح، فكان آدم لا يتصور في نفسه شيئاً في الجنة إلا يوجد الله له في حسه، ولما نزل إلى دار الدنيا لم يبق له ذلك"¹².

3. العدم والحقائق:

(8) معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 129.

(9) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983، ص 118.

(10) المرجع نفسه، ص 140.

(11) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 75.

(12) معجم المصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 156.

ورد المصطلح (العدم) في قول الشيخ¹³:

"وَرَوْحٌ حَقٌّ بِهِ طِرَازُ حُلَّتِهِ
إِنَّ الْحَقَائِقَ دُونَهُ لَفِي عَدَمٍ".
وفي قوله¹⁴:

"فَقِفْ عَلَى حَدِّ ذَا النَّذِيرِ مُتَّيلاً
تَفْزُ بِنَيْلِ الْمَنَى وَتَنْجُ مِنْ عَدَمٍ".

يختص أيضاً مصطلح (العدم) بالمعجم الصوفي؛ وإن طَرَقَهُ عِلْمُ الْكَلَامِ مِنْ قَبْلُ، ومعنى الشاهد قريب من بيت «البردة»¹⁵:

"وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضُرُورَةً
لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ".

يعرف «المعجم الصوفي» المصطلح حسب تصور ابن عربي بأنه المحال، والشر المحض، والظلمة المحضة، وأنه الباطل في مقابل الوجود¹⁶، هذا من جهة الاصطلاح، وإن لا فإن معناه في اللغة هو: فقدان الشيء وذهابه¹⁷، وإن كان نص بيت الشيخ ومعنى العدم فيه أقرب ما يكون إلى المعنى اللغوي فإنه يهتم شيئاً من المعاني الاصطلاحية التي عهدت عن الصوفية ومن ذلك: الظلمة المحضة. وذكر المصطلح بإزاء مصطلح الحقائق ينصر ذلك؛ إذ هو مفرد (الحقيقة) التي تأتي في تراتبية معهودة عند الصوفية هي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة. وقد سبق نص الشيخ في ذكره، والمعاجم المختصة التي تُعنى بالاصطلاح الصوفي تُكثر ذكره سواء مفرداً أو مركباً، من مثل (الحقائق الوجودية)، و(الحقائق الإنسانية)، و(الحقائق البسيطة)، و(الحقائق الأمرية) و(حقيقة الحقائق) ... إلخ.

(13) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 112.

(14) المرجع نفسه، ص 50.

(15) البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى حلو، دار البيروتي، دمشق، ط 3، 1426 هـ، ص 56.

(16) ينظر: المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1981، ص 783.

(17) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، [د ط]، [د ت]، (52/2).

4. العوارض:

يظهر المعجم الصوفي في قصيدة الشيخ بلقاسم ابن منيع من أول بيت، وذلك في قوله¹⁸:

"يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى مَنْ بِاسْمِهِ الْعَلَمُ تَنَحَّلَ عَنَّا عَوَارِضُ مِنَ اللَّمَمِ".

عرف الشريف الجرجاني (العوارض) فقال: "جمع عارضة وهي المحنة المعترضة أي النازلة"¹⁹. وهذا التعريف أقرب إلى مراد الشيخ في البيت سالف الذكر، ويدرج الحفني مصطلح (العوارض) في معجمه المختص بالمصطلحات الصوفية، فيقول فيه:

"العوارض أربعة: الرزق والأخطار والقضاء والمصائب، وهي من عقبات الطريق؛ فطلب الرزق ضد التفرغ للعبادة، والأخطار هي أخطار الظاهر والباطن، فأخطار الباطن كالشك، وأخطار الظاهر كالوقوع في المعاصي والرضوخ للفتنة، والقضاء عقبته السخط عليه، والمصائب هي المحن التي يبلى بها العبد في الدنيا"²⁰. وينقل ابن عجيبة عن «إحياء الغزالي»: "السعادة منوطة بسلامة القلب من عوارض الدنيا، والجودُ بالمال من عوارض الدنيا"²¹.

5. العوالم:

ورد مصطلح (العوالم) في قوله²²:

"مَنْ نَوَّهَتْ بِاسْمِهِ كُتُبٌ مُنَزَّلَةٌ وَفِي الْعَوَالِمِ سَطَرٌ بِاسْمِهِ الْعَلَمُ".

الضمير في الشاهد عائد على النبي -عليه السلام-، ولقد شرحنا في الأصل المنشور مصطلح العوالم ناقلين إياه عن الكاشاني، وفيه أن المراد بالعوالم: عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الشهادة، ومثل هذه المصطلحات تحتاج إلى شرح أيضاً، ولكن معجم الحفني يأتي بتفصيل آخر مبتدءاً بتعريف

(18) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 16.

(19) التعريفات، مرجع سابق، ص 248.

(20) معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 190.

(21) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة، تحقيق: أحمد رسلان، القاهرة، [د ط]، 1419 هـ، (145/4).

(22) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 18.

(العالم) من جهة أنه كل ما سوى الله من الموجودات²³، ونجد في هذا المعجم ما يقابل ما جاء عند الكاشاني؛ إذ ذكر أقساما من العوالم هي (عالم الأمر) الذي وجد عن الحق بغير سبب، ويطلق بإزاء الملكوت، وعالم الخلق وهو ما وجد عن السبب، ويطلق بإزاء عالم الشهادة، ثم يأتي (عالم القدس) ف (العالم الكبير).

إن المصطلح القرآني هو (العالمين)، والخلاف فيه كبير قديم؛ ذلك أن جمع (العالم) هو (العوالم)، وبعض اللغويين يميز بينهما فيجعل (العوالم) جمعا للعالم، و(العالمين) بمعنى أصناف الخلق²⁴. ولقد التصق هذا المصطلح (أي العوالم) بالمعجم الصوفي أيما التصاق، من ذلك أن الشريف الجرجاني يعرف (الإنسان الكامل) بأنه: "الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية"²⁵، ومن ذلك أنهم رأوا أن الإنسان ثلاثة عوالم هي: النفس والقلب والروح²⁶. ويتكرر المصطلح في القصيدة من قوله²⁷:

"تَاللّٰهِ ذَا عَجَبٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
عَلَى الْعَوَالِمِ يَقْضِي أَيُّ مُنْبَرِمٍ".
ويتكرر أيضا في قوله²⁸:

"ذَاكَ الرَّسُولُ الَّذِي عَمَّتْ دَعَايَتُهُ
مِنَ الْعَوَالِمِ ذَا نُطْقٍ وَذَا بُكْمٍ".
وفي قوله²⁹:

"الصَّادِقُ النَّبِيُّ الَّذِي بِهِ لَهَجَتْ
عَوَالِمُ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ وَالنَّعَمِ".

(23) ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 181.

* هذا التعريف في أصله للشريف الجرجاني.

ينظر: التعريفات، مرجع سابق، ص 145.

(24) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999، ص 217.

(25) التعريفات، مرجع سابق، ص 38.

(26) ينظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، (2/ 1133).

(27) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 57.

(28) المرجع نفسه، ص 69.

(29) المرجع نفسه، ص 65.

ولكنه يذكر (العالمين) في موضع آخر من قوله³⁰:

"وَالْمُعْجَزَاتُ نَفَتْ قَدَى الْعُيُونِ
أَبَقَتْ لَدَى الْعَالَمِينَ شُبُهَةَ الْوَهَمِ".
وفي قوله³¹:

"عَمَّتْ أَيَْادُهَا لِلْعَالَمِينَ كَمَا
عَمَّ الصَّبَا سَحَرًا لَيْلِي الدُّهْمِ".

6. الغير:

من مصطلحات المعجم الصوفي في قصيدة الشيخ (الغير)، وقد ورد في عدة أبيات، منها قوله³²:

"مَاحٍ لِدَعْوَى ضَلَالِ الشُّرْكِ
مُطَهَّرًا لِبَقَاعِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ".
ومنها قوله³³:

"وَمَا الْحَبِيبُ الَّذِي سَمَتْ مَكَانَتُهُ
مِنْ حَبَةِ الْقَلْبِ لَمْ يَخْلَلْ بِهَا غَيْرٌ
ومنها قوله³⁴:

"فَمَا تَبَدَّى لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْرِ
إِلَّا أَرَاهُ غَضِيضَ طَرْفِي الْبَرَمِ".

لم يورد عبد المنعم الحفني هذا المصطلح واكتفى بمصطلح (الغيرة)، وهو متابع في ذلك الشريف الجرجاني، وإن كان هذا الأخير ذكره في شرح (السوى) فقال: "هو الغير، وهو الأعيان من

(30) المرجع نفسه، ص 45.

(31) المرجع نفسه، ص 49.

(32) المرجع نفسه، ص 23.

(33) المرجع نفسه، ص 61 62.

(34) المرجع نفسه، ص 93.

حيث تعيناتها³⁵. ومثل هذا مصطلح (الأغيار) -الذي ورد في مواضع عدة من «تعريفات الجرجاني»- ، من ذلك قول القشيري: "اقطع أسرارنا عن شهود الأغيار، ولوّح في قلوبنا طوابع الأنوار"³⁶، وقوله: "ويقال الحكمة شهود الحق والسّفة شهود الغير"³⁷.

7. المعارج:

ورد مصطلح (المعارج) في قول الشيخ³⁸:

"مَنْ قَدْ حَمَى رَبُّهُ سَمَّى لَهُ سَلَفًا
فَهَلْ تَرَى رَاقِيًا مَعَارِجَ الشَّمَمِ".
وفي قوله³⁹:

"فَالْمُصْطَفَى الْخَلَّ وَالْحَبِيبُ مَنْ
بِهِ مَعَارِجَ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُسَمِّ".
كذلك ورد مصطلح المعراج في قوله⁴⁰:

"سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ ذَا الْمِعْرَاجِ
شَمَاءُ مِنْ دُونِهَا الْأَبْرَارُ لَمْ تُسَمِّ".

أصل المصطلح قرآني، ولكنه ورد في أحاديث عن النبي -عليه السلام- في القصة المشهورة، ولكن المصطلح الصوفي يراد به أساسا (المعراج الروحي) مطلقا، وسبق أن نقلنا في شرح الأصل المطبوع تعريف صاحب «لطائف الإعلام» للمصطلح وفيه: "العروج هو سلوك المقربين، وذلك أن كل سالك على طريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه، سبحانه، بسعادة ما، فإن ذلك السالك صاحب معراج وسلوكه عروج"⁴¹. ولأبي القاسم القشيري كتاب يحمل اسم (المعراج)، يقول ابن عربي: "معارج

(35) التعريفات، مرجع سابق، ص 123.

(36) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د3، [د ت]، (1/49).

(37) المرجع نفسه، (1/208).

(38) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 21.

(39) المرجع نفسه، ص 61.

(40) المرجع نفسه، ص 92.

(41) نقله أيضا عاصم إبراهيم الكيالي في: القاموس الصوفي من كلام العارف بالله الشيخ عبد الرزاق القاشاني، كتاب - ناشرون، بيروت، [د ت]، [د ط]، ص 220.

الأولياء بالهمم، وشاركهم الأنبياء في هذا المعراج من كونهم أولياء لا من كونهم أنبياء ولا رسلا، فيعرج الولي بهمته وبصيرته على براق عمله ورفرف صدقه معراجا معنويا يناله فيه ما يعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف"⁴². ولا يُراد المعراج بمعناه الاصطلاحي في البيت الأول، ولكن يراد في الثاني والثالث، وقد فصل القشيري في كتابه معراج كل من موسى وإدريس وإبراهيم وإلياس وعيسى -عليهم السلام-.

8. الملكوت:

ذكر الشيخ مصطلح (الملكوت) في بيت واحد هو قوله⁴³:

"وَبَاطِنُ الْمَلَكُوتِ عَنْ سِوَاكَ حَمِي
فَالرُّوحُ لَمْ يَخْطُ فِي مَسَرَّكَ مِنْ قَدَمٍ".

وشرحه في تعليق له بأنه: باطن الملك. نجد هذا المصطلح في معجم الحفني الذي عرفه بأن قال: "عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس"⁴⁴. وهو مأخوذ بنصه عن «تعريفات الجرجاني» من غير إحالة⁴⁵. والحق أن (الملكوت) من مفردات القرآن الكريم، ولكن معناه في المعجم الصوفي غير معناه في المعجم القرآني.

9. الهواتف:

ورد مصطلح (الهواتف) جمع (الهاتف) في قوله⁴⁶:

"دَعِ الْهُوََاتِفَ إِنَّ شَأْنَهَا عَجَبٌ
فَمَا حَدَا حَدَوَهَا ذُو الْعِيسِ فِي نَعَمٍ".

ولقد شرح الشيخ المصطلح معلقا فقال: "وهو شيء يُسمع ولا يُرى شخصه، وقد دلت الآثار على أنه في بعض الأحيان قد يكون من الملائكة أو من الجن"⁴⁷. وهذا تعريف اصطلاحى؛ وإن لا فأصل

(42) الفتوحات المكية، ابن عربي، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، [د ط]، [د ت]، (80/5).

(43) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 85.

(44) معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 250.

(45) ينظر: التعريفات، مرجع سابق، ص 228.

(46) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 66.

(47) المرجع نفسه، ص 65.

الهتف الصوت الشديد، بل كل مصوِّت هاتف⁴⁸، وإن نسبت المادة في القرون الأولى إلى صوت الحماة، وإلى من يُسمع صوته من غير أن يُرى، وإلى ذكر الشيء بما هو جميل⁴⁹، وأضاف رينهارت دوزي في «تكملة» العناصر الدلالية التي نجدها في الاصطلاح الصوفي ونصه في (الهاتف) -منقولاً-: "صوت علوي من الغيب"⁵⁰. ومعلوم أن مصطلح (الهاتف) الذي أُطلق على جهاز الاتصال المعاصر إنما استُعمل في الترجمة؛ لأجل انتشاره بين أهل التصوف، قال عبد الرحيم فانيا مبادي: "وعربيّة [أي تلفون] الهاتف، وقد وفق واضع هذه الكلمة تمام التوفيق إذ يقال في العربية: «هَتَفَ به هاتفٌ» إذا سمع صوته ولم ير شخصه، وهي كلمة جميلة وجديرة بالرواج"⁵¹، ولقد جاء المصطلح في الحكم العطائية من قوله: "ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها ... إلخ"⁵². كذلك تواتر ذكر مصطلح الهاتف في الآثار من متون الحديث ومن كتب التاريخ، ولكنه غاب في معاجم المصطلحات الصوفية التي راجعناها مثل أكثر المصطلحات سالفة الذكر التي لم نُحل فيها إلى معجم مختص بحiale.

10. الوسيلة/ الجمال/ الجلال:

وردت هذه المصطلحات الثلاث في بيت واحد من قوله⁵³:

"أَعْلَى الْحِنَانِ لِصَاحِبِ الْوَسِيلَةِ
حَاَزَ الْجَلَالَ مَعَ الْجَمَالِ مِنْ أَدَمِي."

(48) ينظر: كتاب العين، مرجع سابق، (4/ 34)، جهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987، (1/ 406)

(49) ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001، (6/ 130).

(50) تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط 1، 2000، (11/ 3).

(51) معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، عبد الرحيم فانيا مبادي، دار القلم، دمشق، ط 1، 2011، ص 84.

(52) شرح الحكم العطائية، عبد المجيد الشرنوب، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون، بيروت، [د ط]، [د ت]، ص 33.

(53) نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، مرجع سابق، ص 90.

يعرف الشريف الجرجاني الوسيلة بأنها: "ما يُتقرب به إلى الغير"⁵⁴، والمصطلح في أصله من مداخل المعجم القرآني؛ إذ ورد في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35]، ولقد أورد القشيري للوسيلة عدة تعريفات صوفية، منها أنها⁵⁵:

ما سبق لك من العناية القديمة.

اختياره لك بالجميل.

خلوص العقد عن الشك.

هذا المصطلح ورد في بيت الشيخ مركبا تركيبا إضافيا (صاحب الوسيلة)، أي النبي -عليه السلام-، وفي ذلك يقول ابن عجيبة: "ولا وسيلة إليه أقرب، ولا أعظم، من رسوله الأكرم -صلى الله عليه وسلم-"⁵⁶.

يعرف الحفني (الجلال) بأنه: "صفة القهر ... وفي الإنسان الكامل الجلال عبارة عن ذاته تعالى بظهوره في أسمائه وصفاته كما هي عليه ... إلخ"⁵⁷. وأتى في تعريف (الجمال) بآراء كل من الجرجاني والكاشاني وغيرهما، والذي يهمننا مما ذكره قوله: "وهذا الجمال ينقسم من حيث الجملة إلى ظاهر وباطن، فالظاهر منه ما يتعلق بالأجسام فلا يدرك إلا معها، والباطن ما لا علاقة له معها، وهو الجمال الفعلي المجرد ... ولا يدرك مجردا من الخواس، وإنما يدرك بنور العقل، لدقة معناه ولطافته؛ فإن العقل نور، والجمال نور، فلا يدرك النور إلا بالنور"⁵⁸.

الخاتمة:

قصيدة الشيخ بلقاسم ابن منيع الجيجلي «نزهة اللبيب في محاسن الحبيب» معارضة لـ «البردة» في الأصل، وإن اختصت بأسماء النبي وأوصافه -عليه السلام-، وهي من عيون الأدب الجزائري الحديث التي غفل عنها الباحثون سنوات بل عقودا. وقد عرضنا في هذه الدراسة مصطلحات صوفية منتخبة، ونقلنا معانيها من معاجم مصطلحات التصوف المختصة من غير كبير تحليل. إن نظرة فاحصة

(54) التعريفات، مرجع سابق، ص 252.

(55) ينظر: لطائف الإشارات، مرجع سابق، (1/ 421).

(56) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، مرجع سابق، (4/ 458).

(57) معجم مصطلحات الصوفية، مرجع سابق، ص 63.

(58) المرجع نفسه، ص 64 وما بعدها.

للمعجم الصوفي في هذه القصيدة تؤكد انتساب الشيخ -الذي اشتغل بتدريس علوم الإسلام- إلى التصوف السني، ولقد ظهرت تجليات المعجم الصوفي فيه من خلال المصطلحات التي ذكرناها، وغابت في القصيدة مصطلحات التصوف الفلسفي التي نجدها عند أمثال الشيخ الأكبر ابن عربي أو عند الشيخ عبد الحق ابن سبعين، ولقد تبين خلال هذه الدراسة الموجزة أن المعاجم المختصة التي رجعنا إليها أغفلت عددا من المصطلحات الصوفية فلم تدرجها ولم تشرحها رغم أن مدونات أهل التصوف قديمها وحديثها حافلة بها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة، تحقيق: أحمد رسلان، القاهرة، [د ط]، 1419 هـ.

البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى حلو، دار البيروتي، دمشق، ط3، 1426 هـ.

التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 2000.

تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

جوهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، [دط]، 1974.

شرح الحكم العطائية، عبد المجيد الشرنوبي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، كتاب ناشرون، بيروت، [د ط]، [د ت].

الفتوحات المكية، ابن عربي، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، [د ط]، [د ت].

القاموس الصوفي من كلام العارف بالله الشيخ عبد الرزاق القاشاني، عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب - ناشرون، بيروت، [د ت]، [د ط].

كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، [د ط]، [د ت].

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996.

لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د 3، [د ت].

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1420 هـ.

مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط 5، 1999.

معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، عبد الرحيم فانيامبادي، دار القلم، دمشق، ط 1، 2011.

معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، ط 2، 1987.

نزهة اللبيب في محاسن الحبيب، بلقاسم ابن منيع، تحقيق وشرح: شعيب حبيلة، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2019.